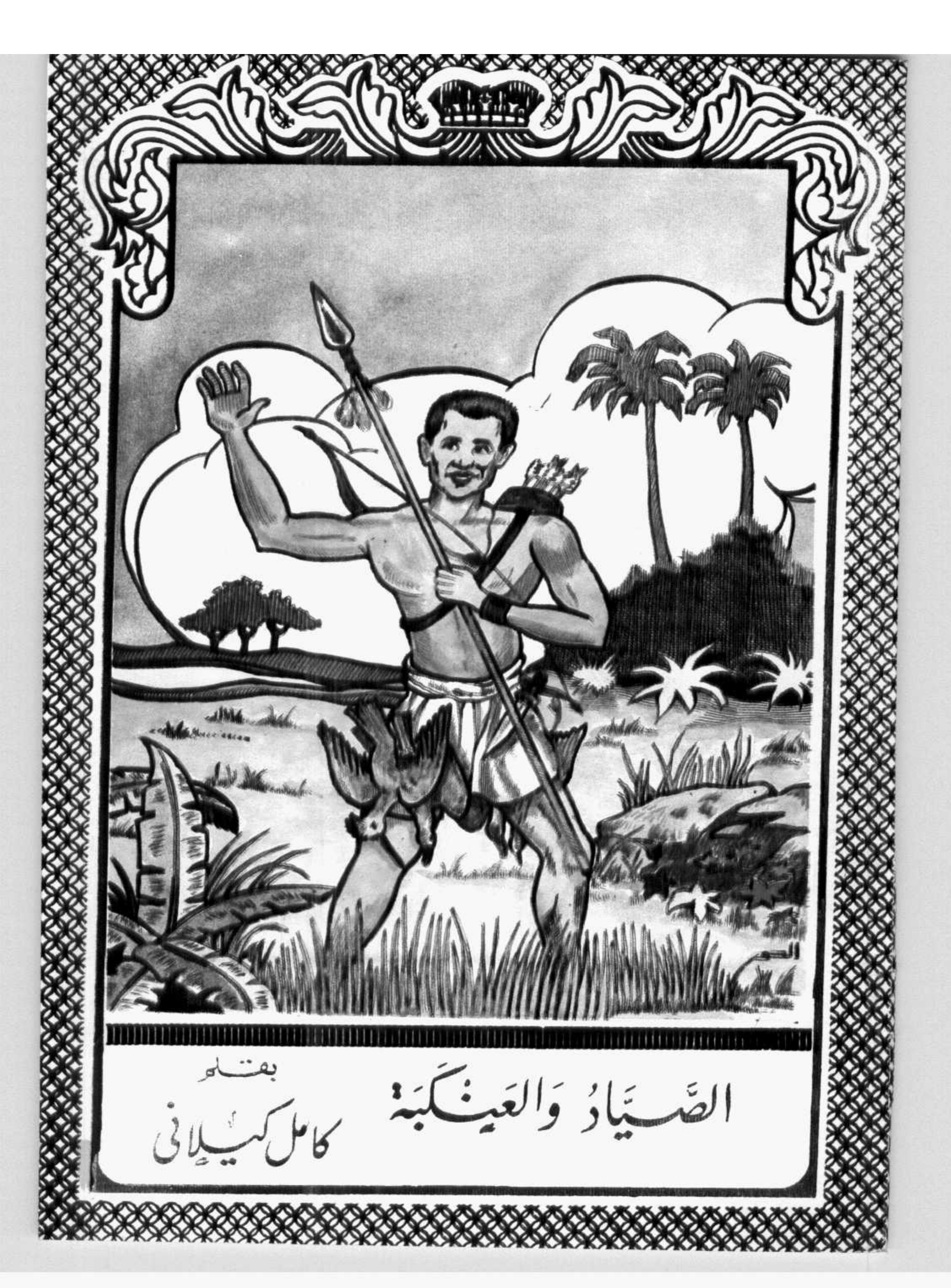
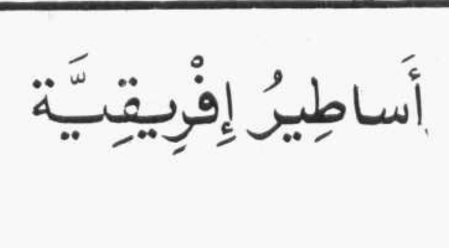


الصَّيَّادُ وَالعَنْكَبَة

بقلم
كامل كيلاني



« كانت الأساطيرُ - ومازالتْ - مَبْعَثَ الإلهامِ ،
يُحلِّقُ القارئُ فى أجْوائها بخَياله ،
مُرتفعا عن الواقعِ بجَفافه وإجْدابه .
وكما كانت الحكاياتُ على ألسنة الحيوانِ
مَنْهجًا فكريًّا عالميًا حفَلت به لُغاتُ العالَم القديم
- إذ تجلَّى ذلك فى الآداب الهنديّةِ والآدابِ الفارسيةِ -
كَذلك كانَ هذا المَنْهَجُ مُوحِياً
للأدبِ العربىِّ بأن ينسُجَ عَلَى منْواله .
ومِنْ هُنا : كان اختيارُ « كامل كيلانى »
لعالَمِ الحيوانِ مسْرحًا لإبرازِ أقاصيصَ حافلةٍ بالحكْمةِ
والمَوْعظة ، فى إطارٍ من المُشوِّقاتِ التى تسترعِى الانْتباهَ
وتُثيرُ النّشاطَ الفكرىَّ عند القارئِ الصغير ،
وإن كان يأْنسُ بهَا كَذلك القارئُ الكبير » .

محمد شوقى أمين
عضو مجمع اللغة العربية

دار مكتبة الأطفال

أساطير الحيوان

كامل كيلاني

الصياد والعنكبة

دار مكتبة الأطفال . القاهرة
أول مؤسسة عربية لتثقيف الطفل

١ – نشأةُ « مَزْمَر »

نَشأَ الفتى الإفريقيّ « مَزْمَرٌ » نَشأةً رِياضيَّـةً صَحيحَةً ؛ فَـكانَ مُنْذُ طُفُولَتِهِ مَشْغُوفًا بِتَمْرينِ أَعْضائِهِ عَلَى الحَرَكاتِ المُخْتَلِفَةِ ، وَظَلَّ يُزاوِلُها بِنَشاطٍ وَإِقْبالٍ . وَقَدْ أَتْقَنَ - بِطُولِ التَّمْرينِ والمُمارَسَةِ - كُلَّ فُنُونِ القَفْزِ وَالوَثْبِ الَّتِي لا بُدَّ مِنْها لِلرِّياضِيِّ الماهِرِ : فَـكانَ فِيها فَتَى الفِتْيانِ !..

وَقَدْ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ مَيْـلًا إِلَى اسْتِغْلالِ مَهارَتِهِ الرِّياضِيَّةِ فِي اصْطِيادِ الحَيَواناتِ وَاقْتِناصِها ، عَلَى اخْتِلافِ أَجْناسِها وَأَنْواعِها .

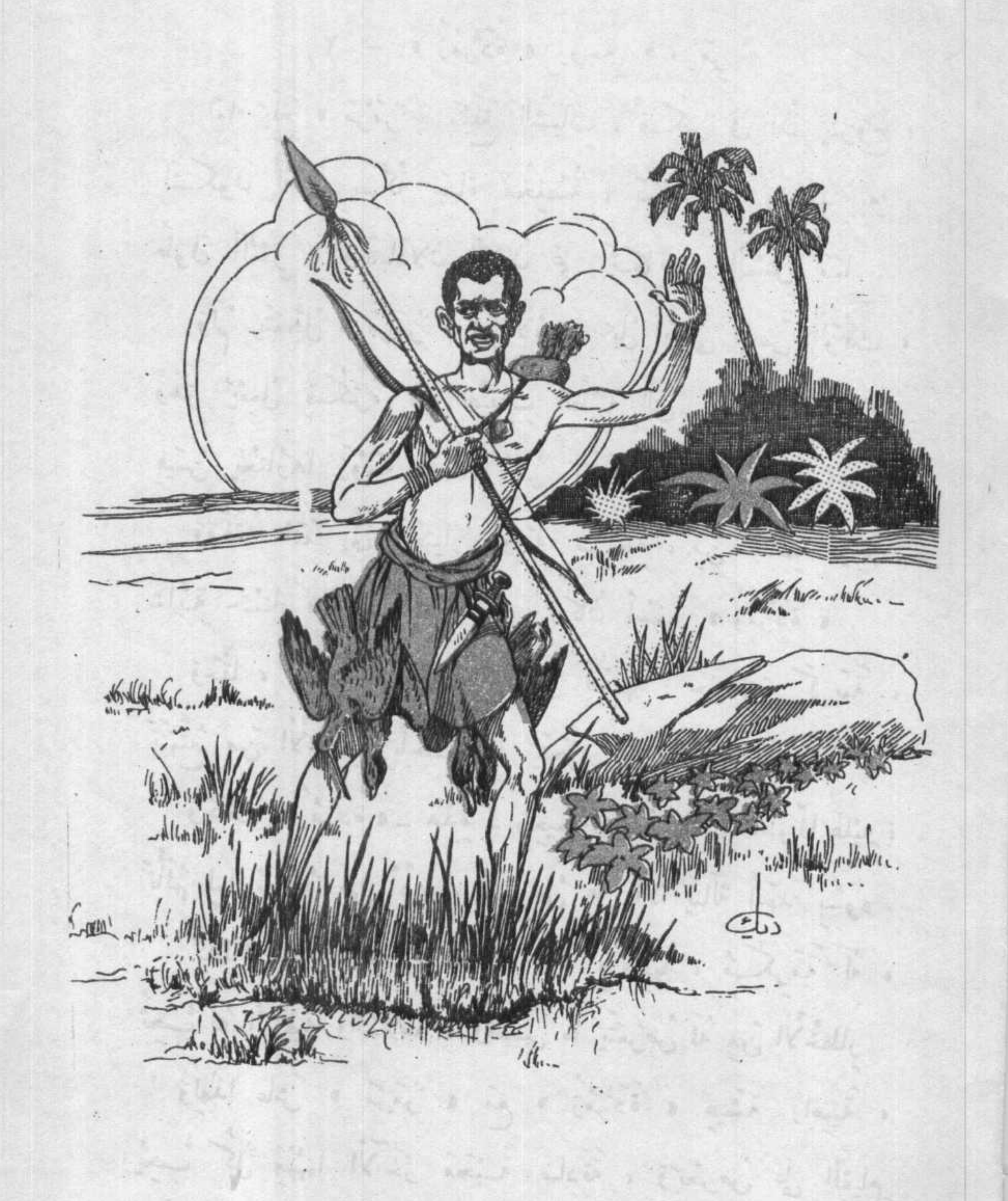
وَكانَ « مَزْمَرٌ » الصَّيّادُ مِثالَ الشَّجاعَةِ وَالجُرْأَةِ وَالإِقْدامِ ، مُولَعًا بِالصَّيْدِ وَالقَنَصِ فِي أَوْقاتِ النَّهارِ وَاللَّيْلِ .

وَلَمْ يَكُنْ يُخْطِئُهُ الفَوْزُ وَالنَّصْرُ ، وَلا يُفْلِتُ مِنْ رُمْحِهِ القَصيرِ حَيَوانٌ بَرِّيٌّ أَوْ بَحْرِيٌّ ، كُلَّما سَدَّدَهُ إِلَيْهِ .

وَكانَ يَقْضِي أَكْثَرَ أَوْقاتِهِ فِي الغابَةِ ، مُتَفائِلًا كُلَّ التَّفاؤُلِ ، مَوْفُورَ الثِّقَةِ بِنَفْسِهِ ، لا يَعْرِفُ لِلإِخْفاقِ وَلا لِلْيَأْسِ مَعْنًى .

وَقَدْ عُرِفَ بَيْنَ أَهْلِ بَلَدِهِ بِالْمُرُوءَةِ وَالشَّهامَةِ وَالنَّجْدَةِ ، لا يَتَأَخَّرُ عَنْ خِدْمَةِ مَنْ يَطْلُبُ مِنْهُ عَوْنًا ، كَما عُرِفَ بَيْنَ أَقْرانِهِ مِنَ الفِتْيانِ بِـكَرَمِ الصُّحْبَةِ ، وَلُطْفِ المَوَدَّةِ ، وَصَفاءِ النَّفْسِ .

لِذٰلِكَ أَحَبَّهُ كُلُّ مَنْ عَرَفَهُ ، مِنْ كَبيرٍ أَوْ صَغيرٍ .



٢ – « زُمُرُّدَةُ » زَوْجَةُ « مَرْمَرٍ »

لَمَّا بَلَغَ « مَرْمَرٌ » مَبْلَغَ الشَّبابِ ، فَكَّرَ في أَنْ يَتزَوَّجَ ، لِتَكُونَ لَهُ شَرِيكَةُ حَياةٍ مُخْلِصَةٌ ، يَسْعَدُ بِها وَتَسْعَدُ بِهِ ، طُولَ الْعُمْرِ ، وَيَتَبادَلانِ الْعَوْنَ عَلَى تَكالِيفِ الْعَيْشِ مَعًا .

وَلَمْ يَتَعَجَّلْ « مَرْمَرٌ » في الْأَمْرِ ، بَلْ أَمْضَى بَعْضَ الْوَقْتِ ، وَهُوَ يُعْمِلُ فِكْرَهُ في الصِّفاتِ الطَّيِّبَةِ الَّتي يَجِبُ أَنْ تَتوافَرَ فِيمَنْ يَخْتارُها زَوْجَةً لَهُ ، تَعْمُرُ بَيْتَهُ .

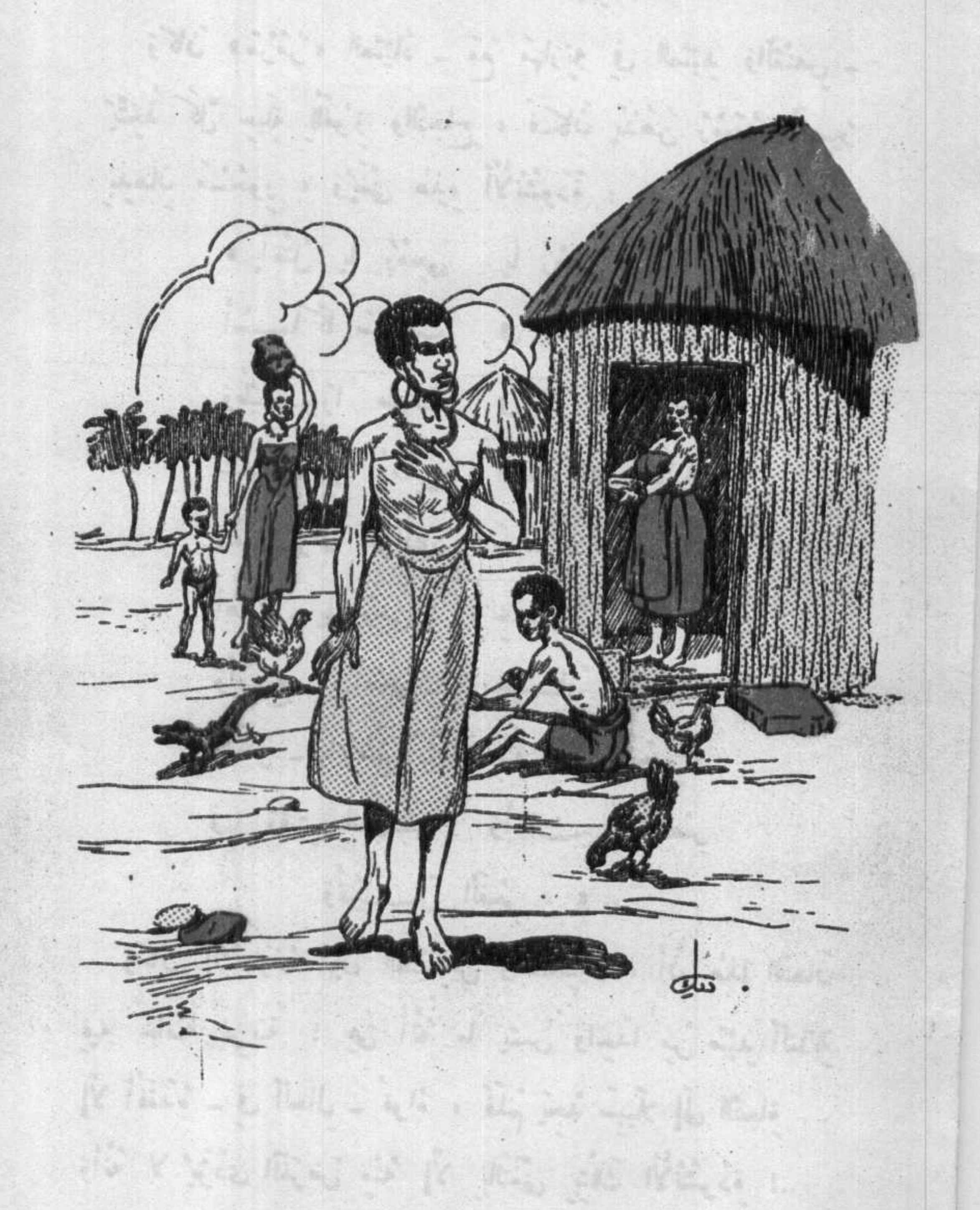
وَوَفَّقَهُ اللهُ إِلَى اخْتِيارِ زَوْجَةٍ صالِحَةٍ ، مِنْ بَناتِ قَوْمِهِ : شابَّةٍ حَسْناءَ ، مِنْ أُسْرَةٍ طَيِّبَةٍ ، وَكانَ اسْمُها « زُمُرُّدَةَ » .

وَحَقًّا ، كانَتْ « زُمُرُّدَةُ » مِثْلَ اسْمِها : جَوْهَرَةً كَرِيمَةً ، تَتَمَتَّعُ مِنَ الْأَخْلاقِ بِأَحْسَنِ ما يَتَحَلَّى بِهِ الْإِنْسانُ .

وَكانَتْ « زُمُرُّدَةُ » ـ هٰذِهِ ـ رَحِيمَةً بِالْحَيَوانِ ، عَطُوفًا عَلَيْهِ ، تَأْلَمُ لِما يُصِيبُهُ مِنْ أَذًى ، وَتَحْرِصُ عَلَى أَلَّا يَنالَهُ أَحَدٌ بِسُوءٍ .

كَذٰلِكَ كانَتْ « زُمُرُّدَةُ » بارَّةً بِزَوْجِها ، مُكْرِمَةً لَهُ ، تُحِبُّ لَهُ الْعافِيَةَ والسَّلامَةَ ، وَتَخْشَى ما يَتَعَرَّضُ لَهُ مِنَ الْأَخْطارِ .

وَلِهٰذا عاشَ « مَرْمَرٌ » مَعَ « زُمُرُّدَةَ » عِيشَةً راضِيَةً ، يُحِبُّ كُلٌّ مِنْهُما الْآخَرَ مَحَبَّةً صادِقَةً ، وَيَحْرِصُ عَلَى الْقِيامِ بِكُلِّ ما يُرْضِيهِ ، في أَمانَةٍ وَإِخْلاصٍ .



٣ – أنشودةُ الصيَّادِ

وَكانَ «مرزمرز» الصيّادُ – معَ مهارتِهِ في الصيْدِ وَالقنصِ – يتّخِذُ كُلَّ حيلَةٍ لِلفوْزِ والنّجاحِ ، فكانَ يَدْهُنُ رُمْحَهُ القصيرَ بِدِهانٍ مَسْحُورٍ ، وَيُغَنّي هٰذِهِ الأنشودَةَ :

« اُقتُلْ يا رُمْحِي   يا رُمْحِي الصّغيرْ :
أسْماكًا سَبَحَتْ   في البَحْرِ الكَبيرْ
وَطُيُورًا طارَتْ   في الرّوْضِ النّضيرْ

شَتِّتْ يا رُمْحِي   أبقارَ الغابَهْ
وَغَزالَ الوادِي   بَدِّدْ أسْرابَهْ

أهْلِكْ – يا رُمْحِي –   خِنْزيرَ البَرِّ
وَأصْرِعْ – يا رُمْحِي –   حيتانَ البَحْرِ
واقتُلْ – يا رُمْحِي –   قُنفُذَةً تجْري
في وَقتِ الظُّهْرِ   وَأوانِ العَصْرِ
وَقُبَيْلَ الفَجْرِ . »

وَكانَ المُتَعارَفُ بَيْنَ الصيّادِينَ والقنّاصِينَ ، أنّ هٰذا الدّهانَ فيهِ خاصّةٌ غريبَةٌ ؛ هِيَ أنّهُ ما يَمَسُّ واحِدًا مِنْ صَيْدِ الغابَةِ إلّا أفقدَهُ – في الحالِ – قُواهُ ، فلَمْ يَجِدْ سَبيلًا إلى النّجاةِ . . وَأنّهُ لا يُؤدّي الغَرَضَ مِنْهُ إلّا بالتّغَنّي بِتِلْكَ الأنشودَةِ !..



٤ — أنشودة « زمردة »

ولكن زوجته الطيبة « زمردة » كانت تنافِله ، وتدهن رمحه بدهان مسحور آخر ، حتى لا يؤذي أي حيوان ؛ لأنها كانت طيبة القلب ، رقيقة العواطف ، تكره لزوجها أن يقتل حيوانا ساربا في الأرض ، أو يسلبه حريته التي ينعم بها في حياته ، ولا تطيق أن ترى حيوانا صريعا بيد إنسان ؛ فهي تحس أن له روحا تتألم وتتعذب ، كشأن كل شيء حي ، وهي لا ترضى التعذيب لكائن كان ، من إنسان وحيوان .

وقد وضعت « زمردة » أنشودة تقابل أنشودة زوجها الصياد ... وكانت تتغنى بأنشودتها ، وهي تدهن الرمح :

« يا رمح الشر لا تقتل أحدا

لا تقتل وحشا أو طيرا غردا

لا تصرع رجلا لا تهلك ولدا

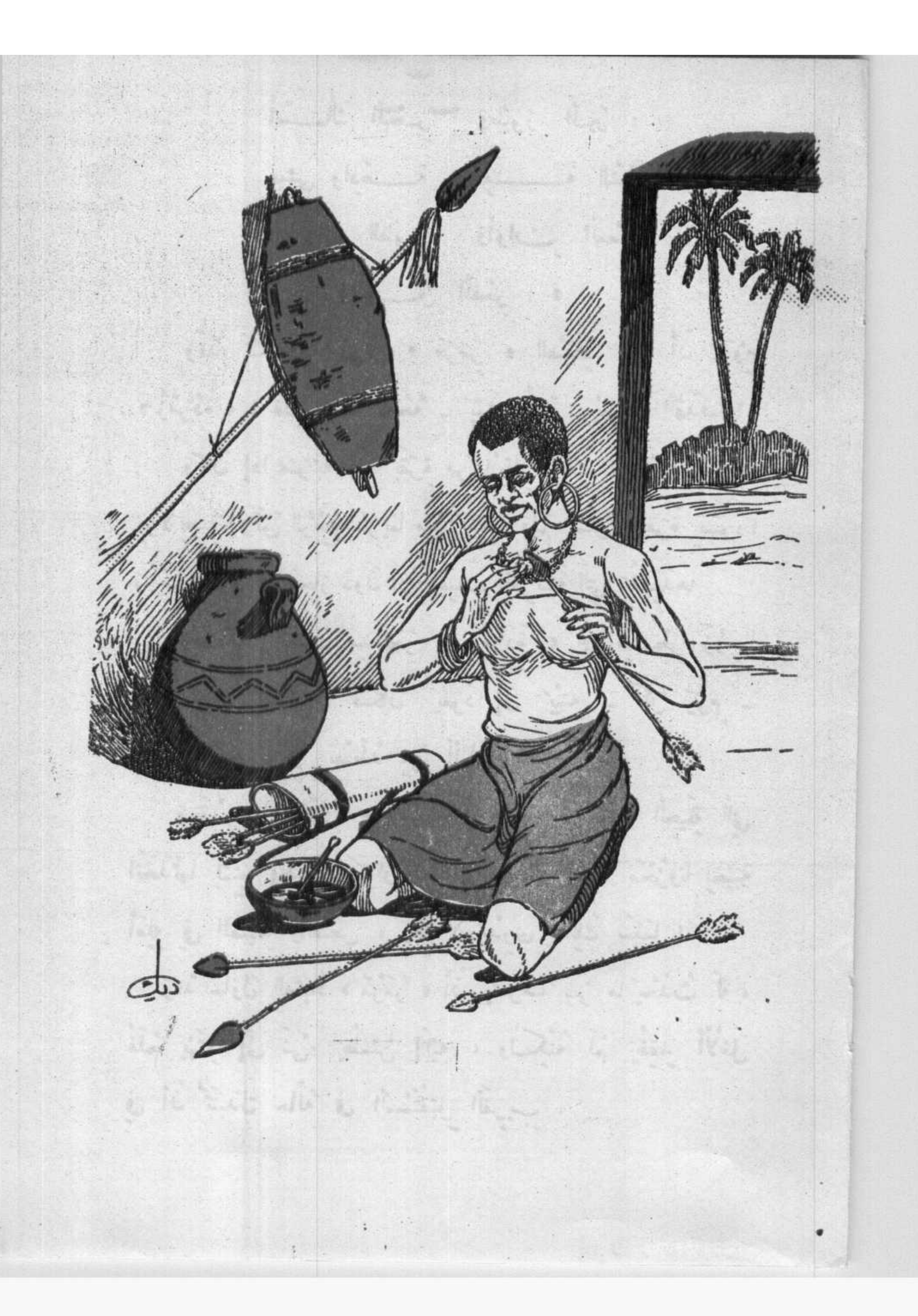
لا تقتل أحدا لا تقتل أبدا

* * *

أبقار الغاب وغزال الوادي :

سيري آمنة عدوان العادي

* * *



أَسْماكَ الْبَحْرِ وَطُيُورَ الْبَرِّ :
عِيشى وادِعَةً آمِنَةَ الشَّرِّ
فِي وَقْتِ الظُّهْرِ وَأَوانِ الْعَصْرِ
وَقُبَيْلَ الْفَجْرِ . »

وَقَدْ تَبَدَّلَتْ أَحْوالُ « مَرْمَرٍ » الصَّيَّادِ بَعْدَ أَنْ تَزَوَّجَ « زُمُرُّدَةَ » ؛ فَلَمْ يَعُدْ رُمْحُهُ - بَعْدَ ذٰلِكَ - يُصِيبُ الْهَدَفَ !..

وَكانَ إِذا صَوَّبَهُ إِلَى بَقَرَةٍ مِنْ أَبْقارِ الْغابِ ، أَوْ غَزالَةٍ مِنْ غِزْلانِهِ ، انْزَلَقَ الرُّمْحُ سَرِيعًا مِنْ يَدِهِ ، وَلَمْ يَمَسَّ الْبَقَرَةَ بِسُوءٍ؛ وَرُبَّما اخْتَرَقَ الْأَشْجارَ دُونَ أَنْ يُصِيبَ الْفَرِيسَةَ الَّتِي يَقْصِدُها .

وَهٰكَذا تَغَلَّبَ سِحْرُ « زُمُرُّدَةَ » عَلَى سِحْرِ زَوْجِها « مَرْمَرٍ » الصَّيَّادِ ؛ فَكانَ يَعُودُ إِلَى بَيْتِهِ - كُلَّ يَوْمٍ - صِفْرَ الْيَدَيْنِ ، لَمْ يَصْطَدْ مِنَ الْغابَةِ شَيْئًا ..

وَبِقَدْرِ ما كانَتْ « زُمُرُّدَةُ » مَسْرُورَةً بِهٰذِهِ الْحِيلَةِ الَّتِي اتَّخَذَتْها لِمَنْعِ إِيذاءِ الْحَيَوانِ ، كانَ زَوْجُها مَهْمُومًا مَحْزُونًا لِخَيْبَةِ أَمَلِهِ فِي الصَّيْدِ وَالْقَنْصِ ، وَهُوَ لا يَدْرِي لِذٰلِكَ سَبَبًا !

وَقَدْ حاوَلَ الصَّيَّادُ « مَرْمَرٌ » أَنْ يَتَعَرَّفَ سِرَّ ما يَحْدُثُ لَهُ ، فَلَمْ يَهْتَدِ إِلَى شَيْءٍ يَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ ، وَلٰكِنَّهُ لَمْ يَفْقِدِ الْأَمَلَ فِي أَنْ تَتَبَدَّلَ حالُهُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ الْقَرِيبِ .

٥ – اَلْبَقَرَةُ الْوَحْشِيَّةُ

وَفِي ذاتِ يَوْمٍ : خَرَجَ « مِرْمَرٌ » عَلَى عادَتِهِ إِلَى الْغابَةِ ، وَرَأَى بَقَرَةً وَحْشِيَّةً كَبِيرَةً ؛ فَظَلَّ يُطارِدُها حَتَّى داناها .. ثُمَّ صَوَّبَ إِلَيْها رُمْحَهُ فِي مَهارَةٍ ، وَحِذْقٍ وَرَشاقَةٍ .

وَلَمْ يَشُكَّ « مِرْمَرٌ » فِي أَنَّ الرُّمْحَ سَيُصِيبُ الْبَقَرةَ الْوَحْشِيَّةَ ، وَأَنَّهُ قاتِلُها ، فَهُوَ قَرِيبٌ مِنْها .

وَقَدْ حَرَصَ « مِرْمَرٌ » ـ قَبْلَ خُرُوجِهِ لِلصَّيْدِ ـ أَنْ يَدْهُنَ الرُّمْحَ بِالدِّهانِ السِّحْرِيِّ ، وَأَنْ يُغَنِّيَ الْأُنْشُودَةَ الَّتِي لا بُدَّ مِنْ إِنْشادِها ، لِكَيْ يَكُونَ لِلدِّهانِ أَثَرُهُ فِي اجْتِذابِ الْفَرِيسَةِ !.

وَهٰكَذا اطْمَأَنَّ « مِرْمَرٌ » بِأَنَّهُ ظافِرٌ بِالْبَقَرَةِ الْوَحْشِيَّةِ صَيْدًا طَيِّبًا ، مَتَى سَدَّدَ إِلَيْها الرُّمْحَ ..

وَلٰكِنَّ الرُّمْحَ انْزَلَقَ بَيْنَ قَرْنَيْها ، وَنَفَذَ فِي جِذْعِ شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ مَكانِ الْبَقَرَةِ ، دُونَ أَنْ يَمَسَّها بِسُوءٍ .

وَسُرْعانَ ما اهْتاجَتِ الْبَقَرَةُ ، واشْتَدَّ غَيْظُها عَلَى « مِرْمَرٍ » ؛ فانْطَلَقَتْ تَعْدُو فِي أَثَرِهِ حَتَّى أَدْرَكَتْهُ ، فَنَطَحَتْهُ بِقَرْنَيْها ، فَأَلْقَتْهُ عَلَى الْأَرْضِ ، وَتَرَكَتْهُ أَقْرَبَ إِلَى الْمَوْتِ مِنْهُ إِلَى الْحَياةِ .

وَتَبَيَّنَ « مِرْمَرٌ » الصَّيَّادُ أَنَّ نَطْحَةَ الْبَقَرَةِ الْوَحْشِيَّةِ الْمُهْتاجَةِ قَدْ أَحْدَثَتْ فِيهِ جُرْحًا ، وَأَنَّ جُرْحَهُ يَدْمَى ! .

كانَ جُرْحُ «مَرْمَرٍ» خَطِيرًا ، فَلَمْ يَسْتَطِعِ السَّيْرَ إلى بَيْتِهِ !..

وَقَدْ بَذَلَ جُهْدَهُ في الْعَوْدَةِ إلى عُشِّهِ زَحْفًا ، حَتَّى بَلَغَهُ بَعْدَ عَناءٍ شَديدٍ ، لَم يَكُنْ يَتَوَقَّعُ أَنْ يُكابِدَهُ !..

وَظَلَّ «مَرْمَرٌ» راقِدًا في عُشِّهِ ، صابِرًا عَلَى ما يَشْعُرُ بِهِ مِنْ آلامٍ لَمْ تَكُنْ تَخِفُّ إلّا بِقَدْرٍ ضَئيلٍ عَلَى مَرِّ الأَيّامِ .

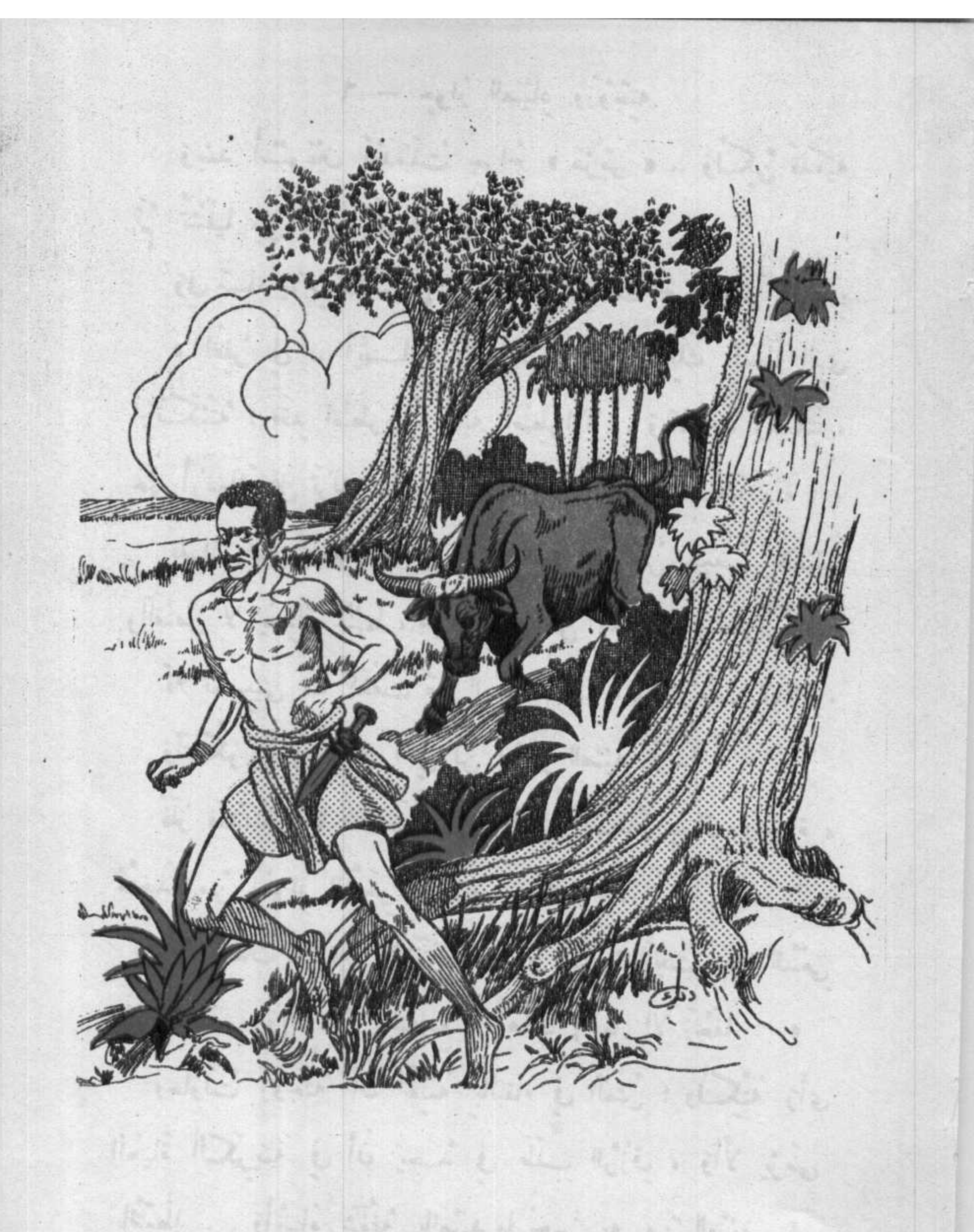
وَقَدْ حَزِنَتْ «زُمُرُّدَةُ» لِمَرَضِهِ أَشَدَّ الْحُزْنِ ، وَنَدِمَتْ عَلَى أَنَّها كانَتْ - في خُفْيَةٍ مِنْهُ - تَصْنَعُ ما صَنَعَتْ بِرُمْحِهِ ، وَوَدَّتْ لَوْ أَنَّها تَرَكَتْ رُمْحَهُ - كَما كانَ - ماضِيًا نَفّاذًا ، دُونَ أَنْ تَدْهُنَهُ بِالدِّهانِ الْمَسْحُورِ ، الَّذي أَفْقَدَهُ مَضاءَهُ وَنَفاذَهُ .

عَلَى أَنَّ «زُمُرُّدَةَ» كانَتْ تَبْذُلُ كُلَّ وُسْعِها وَجُهْدِها في الْعِنايَةِ بِزَوْجِها الْمَريضِ ، في أَثْناءِ مَرَضِهِ ، فَظَلَّتْ تَقُومُ بِكُلِّ ما يَحْتاجُ إِلَيْهِ ، في حُنُوٍّ بالِغٍ ، وَإِشْفاقٍ شَديدٍ .

وَلَمْ يَكُنْ حُزْنُ أَصْحابِ «مَرْمَرٍ» بِأَقَلَّ مِنْ حُزْنِ زَوْجَتِهِ عَلَيْهِ ؛ فَقَدْ كانُوا يُكْبِرُونَ فيهِ ذَكاءَهُ وَشَجاعَتَهُ وَمُرُوءَتَهُ .

وَاسْتَمَرَّ أَصْحابُهُ وَجيرانُهُ يَعُودُونَهُ في مَرَضِهِ ، وَيُقَدِّمُونَ لَهُ مِنْ أَنْواعِ الرِّعايَةِ كُلَّ ما يَسْتَطيعُونَ ، عَنْ طيبِ خاطِرٍ .

وَنَظَرًا لِأَنَّهُمْ يَرَوْنَ حُزْنَ زَوْجَتِهِ عَلَى ما أَصابَهُ وَعِنايَتَها بِهِ ، لَمْ يَشُكَّ أَحَدٌ في أَنَّها هِيَ السَّبَبُ فيما جَرَى لَهُ .



٦ – حِوارُ الصَّيَّادِ وَزَوْجَتِهِ

وَبَعْدَ أُسْبُوعَيْنِ انْدَمَلَتْ جِراحُ « مَرْمَرٍ » .. وَلٰكِنْ قَدَمَيْهِ لَمْ تُشْفَيا مِنْ أَثَرِ سُقُوطِهِ عَلَى الْأَرْضِ .

وَفِي مَساءِ يَوْمٍ جَلَسَتْ إِلَيْهِ زَوْجَتُهُ ، وَقالَتْ لَهُ فِي حُنُوٍّ وَرِقَّةٍ : « اغْفِرْ لِي - أَيُّهَا الزَّوْجُ الْكَرِيمُ - ذٰلِكَ الْخَطَأَ الَّذِي ارْتَكَبْتُهُ ؛ فَقَدِ اضْطُرِرْتُ إِلَيْهِ اضْطِرارًا .. وَسَحَرْتُ رُمْحَكَ ، حَتَّى أُرْغِمَكَ عَلَى تَرْكِ الصَّيْدِ ؛ لِأَنَّنِي كُنْتُ أَخْشَى عَلَيْكَ مِنْهُ . »

فَقالَ لَها زَوْجُها « مَرْمَرٌ » : « إِنَّ مَنْ شُغِفَ بِالصَّيْدِ والْقَنْصِ لا يَعْدِلُ عَنْهُما ، مَهْما يَلْقَ مِنْ أَحْداثٍ وَخُطُوبٍ ! .. فَلا تَحْسَبِينِي قَدْ كَفَفْتُ عَنِ الصَّيْدِ ، بَعْدَ أَنْ تَعَرَّضْتُ لِلْهَلاكِ . وَلْتَكُونِي عَلَى ثِقَةٍ أَنَّنِي لَنْ أَهْجُرَ الصَّيْدَ أَبَدًا :

فَلَوْ فَقَدْتُ ساقًا ، لَمَضَيْتُ إِلَى الْغابَةِ أَصْطادُ بِساقٍ واحِدَةٍ ، مُتَّخِذًا مِنْ أَعْوادِ الشَّجَرِ ساقًا مِنْ خَشَبٍ ! ..

ولَوْ فَقَدْتُ السَّاقَيْنِ الِاثْنَتَيْنِ مَعًا ، لَما تَوانَيْتُ عَنِ السَّعْيِ إِلَى الْغابَةِ ، وَإِنْ لَمْ أَسْتَطِعِ الذَّهابَ إِلَيْها إِلَّا زَحْفًا ! »

وَحاوَلَتْ زَوْجَتُهُ أَنْ تُقْنِعَهُ بِالْبَقاءِ فِي الْعُشِّ ؛ ولٰكِنَّهُ رَأَى الْحَياةَ الْكَرِيمَةَ فِي أَنْ يَجِدَّ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ ، وَأَلَّا يَرْضَى بِالتَّعَطُّلِ . . وَأَنْساهُ شَغَفُهُ بِالصَّيْدِ ما يُحِسُّ بِهِ مِنَ الضَّعْفِ ! ..

٧ - عَنْكَبَةُ الْغابَةِ

وَذَهَبَ « مَرْمَرُ » - صُبْحًا - إِلَى الْغابَةِ زَحْفًا عَلَى يَدَيْهِ وَرُكْبَتَيْهِ ، وَظَلَّ يُراقِبُ حَيَوانَ الْغابَةِ ، غَيْرَ قادِرٍ عَلَى اقْتِناصِ شَيْءٍ مِنْهُ . فَلَمَّا أَظْلَمَ اللَّيْلُ عادَ « مَرْمَرُ » إِلَى عُشِّهِ ، وَقَضَى - عَلَى هٰذِهِ الْحالِ - أَيّامًا ، لا يَفُوزُ مِنَ الْغابَةِ بِشَيْءٍ .

وَذاتَ صَباحٍ ، اسْتَلْقَى « مَرْمَرُ » عَلَى ظَهْرِهِ فِي الْغابَةِ ، وَظَلَّ يُراقِبُ الْأَشْجارَ ، فَرَأَى عَنْكَبَةً تَنْسُجُ عُشَّها ، وَتَمُدُّ شِباكًا مِنْ نَسْجِ يَدَيْها ، تَصْطادُ بِها فَرائِسَها .

فَصاحَ « مَرْمَرُ » وَقَدْ تَمَلَّكَهُ الدَّهَشُ ، يَقُولُ لَها :

« حَتَّى أَنْتِ يا سَيِّدَةَ الْعَناكِبِ ، تَصْطادِينَ بِمَهارَةٍ ! »

فَقالَتْ لَهُ الْعَنْكَبَةُ : « وَمَنْ أَعْلَمُ بِالصَّيْدِ مِنِّي وَأَخْبَرُ ؟ »

فَقالَ لَها « مَرْمَرُ » ، وَهُوَ مُعْجَبٌ بِها :

« ما كُنْتُ أَحْسَبُكِ مُتَمَيِّزَةً بِمِثْلِ هٰذِهِ الْبَراعَةِ ! »

فَقالَتِ الْعَنْكَبَةُ ، وَهِيَ تَنْسُجُ الْعُشَّ :

« لَوْ أَنَّكَ حاكَيْتَنِي فِيما أَعْمَلُ ، وَصَنَعْتَ شَبَكَةً عَلَى غِرارِ هٰذِهِ الشَّبَكَةِ ؛ لَسَهُلَ عَلَيْكَ أَنْ تَصْطادَ ما شِئْتَ مِنْ وُعُولِ الْغابَةِ وَأَبْقارِها ، وَقَنافِذِها وَغِزْلانِها ، دُونَ أَنْ يَمَسَّكَ سُوءٌ ! إِنَّكَ تَرانِي أَصْطادُ فَرائِسِي ، لا يَنالُنِي مِنْها أَذًى .

وَلَوْ أَنَّكَ فَعَلْتَ مِثْلَ ما أَفْعَلُ ، لَما تَعَرَّضْتَ لِخَطَرِ الْبَقَرَةِ الْوَحْشِيَّةِ الَّتِي نَطَحَتْكَ ، وَكادَتْ تَقْتُلُكَ ، يا فَتَى الْفِتْيانِ . »

فَعَجِبَ « مَزْمَرٌ » مِنْ ذَكاءِ الْعَنْكَبَةِ ، وَبَراعَةِ حِيلَتِها ، وَجَلَسَ يُفَكِّرُ فِيما سَمِعَهُ مِنْها ، ثُمَّ قالَ لِنَفْسِهِ :

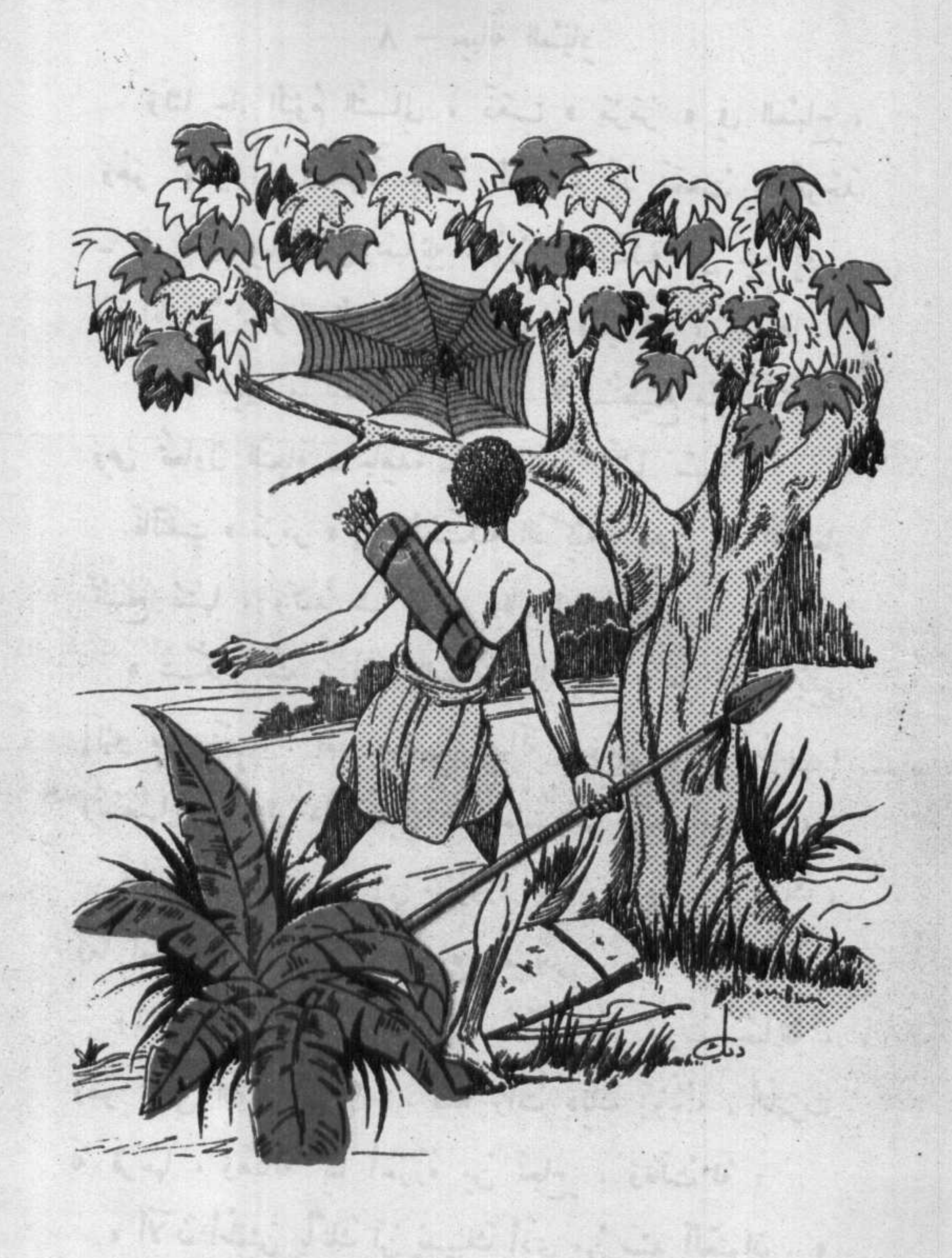
« حَقًّا إِنَّها صَيَّادَةٌ ماهِرَةٌ ، تَصْطادُ فَرائِسَها ، دُونَ التَّعَرُّضِ لِسُوءٍ ، وَلا بُدَّ لِي مِنْ مُحاكاتِها فِي هٰذا الَّذِي تَصْنَعُهُ .

لَقَدْ هَدَتْنِي إِلَى فِكْرَةٍ مُفِيدَةٍ ، يَجِبُ عَلَيَّ أَنْ أَنْتَفِعَ بِها فِي حَياتِي .. وَلَيْسَ الْعَيْبُ أَنْ أُقَلِّدَ غَيْرِي فِيما يُفِيدُ ، وَلٰكِنَّ الْعَيْبَ أَنْ أَعْرِفَ الْفِكْرَةَ الْمُفِيدَةَ ، دُونَ أَنْ أَنْتَفِعَ بِها .

وَلا شَكَّ أَنِّي أَقْدَرُ مِنَ الْعَنْكَبَةِ عَلَى صُنْعِ الشِّباكِ .

وَما أَجْدَرَنِي أَنْ أَصْنَعَ شَبَكَةً كَبِيرَةً مِنْ حِبالِ الْأَشْجارِ ، لِأَصْطادَ فَرائِسِي مِنَ الْحَيَوانِ - كَما تَصْطادُ الْعَنْكَبَةُ فَرائِسَها مِنَ الْحَشَراتِ - دُونَ أَنْ أَتَعَرَّضَ لِسُوءٍ . »

وَظَلَّ « مَزْمَرٌ » الصَّيَّادُ - مُنْذُ ذٰلِكَ الْيَوْمِ - يَفْتِلُ الْحِبالَ مِنْ سُوقِ النَّباتاتِ الْقَوِيَّةِ الْمَتِينَةِ ؛ حَتَّى تَهَيَّأَ لَهُ مِنَ الْحِبالِ ما يُرِيدُ .. فَعَكَفَ عَلَيْها يَصْنَعُ مِنْها شِباكًا عَلَى غِرارِ شِباكِ الْعَنْكَبَةِ ، ثُمَّ وَضَعَها بَيْنَ أَشْجارِ الْغابَةِ ، بَعْدَ أَنْ شَدَّ الشِّباكَ إِلَى جُذُوعِ الْأَشْجارِ ، لِكَيْ لا تَذْهَبَ بِها الرِّياحُ .



٨ – حِبالَةُ الصَّيَّادِ

وَلَمَّا جاءَ الْيَوْمُ التَّالِي ، ذَهَبَ « مَرْمَرْ » فِي الصَّباحِ ، وَهُوَ يَأْمُلُ أَنْ تَكُونَ حِيلَتُهُ الْجَدِيدَةُ قَدْ نَجَحَتْ ، فَوَجَدَ فِي كُلِّ حِبالَةٍ مِنْ حَبائِلِهِ ، أَيْ : شَبَكَةٍ مِنْ شِباكِهِ - حَيَوانًا مِنْ حَيَوانِ الْغابَةِ : الْوُعُولِ ، وَالْغِزْلانِ ، وَغَيْرِها .

وَرَآها جَمِيعًا مُرْتَبِكَةً فِي الْحَبائِلِ ، لا تَسْتَطِيعُ مِنْها فَكاكًا ، وَهِيَ تُحاوِلُ النَّجاةَ - جاهِدَةً - فَلا تَجِدُ إِلَيْها سَبِيلًا .

فَالْتَفَتَ « مَرْمَرْ » إِلَى الْعَنْكَبَةِ الذَّكِيَّةِ ، وَهِيَ بَيْنَ الْأَشْجارِ تَنْسُجُ عُشَّها ، وَتَمُدُّ شِباكَها ، وَقالَ لَها مُحَيِّيًا :

« شُكْرًا لَكِ ، أَيَّتُها الصَّدِيقَةُ الْماهِرَةُ ، عَلَى ما هَدَيْتِنِي إِلَيْهِ مِنْ خَيْرٍ . . فَقَدْ صَنَعْتُ الْحِبالَةَ ، وَفْقَ ما أَرْشَدْتِنِي ، وَنَسَجْتُها عَلَى غِرارِ ما عَلَّمْتِنِي ؛ فَأَصَبْتُ بِها غُنْمًا عَظِيمًا ! »

فَقالَتِ الْعَنْكَبَةُ : « إِنِّي مَسْرُورَةٌ جِدًّا بِنَجاحِكَ وَتَوْفِيقِكَ ، وَما أَسْعَدَنِي بِما تُفِيدُ مِنِ اتِّباعِ نَصِيحَتِي . »

وَجَعَلَ « مَرْمَرْ » يَنْقُلُ إِلَى عُشِّهِ ما حَوَتْ حَبائِلُهُ ، وَهُوَ مُمْتَلِئُ النَّفْسِ سُرُورًا !.. فَلَمَّا رَأَتْ ذٰلِكَ زَوْجَتُهُ ، أَظْهَرَتْ لَهُ فَرَحَها ، وَهَنَّأَتْهُ بِما أَحْرَزَهُ مِنْ نَجاحٍ ، وَقالَتْ لَهُ :

« الْآنَ أَطْمَئِنُّ بِأَنَّكَ لَنْ يُصِيبَكَ أَذًى مِنْ صَيْدِ الْحَيَوانِ . »

وَما زالَ « مَرْمَرٌ » يَتَفَنَّنُ فِي نَسْجِ حِبالِهِ (شِباكِهِ) ، مُرْتَقِيًا فِي إِتْقانِها ؛ حَتَّى أَصْبَحَتْ شِباكُهُ الَّتِي يَتَّخِذُها لِلصَّيْدِ عَلَى أَحْسَنِ غِرارٍ ، وَصارَتْ حِبالُها أَلْيَنَ مَلْمِسًا ، وَأَمْتَنَ نَسْجًا .

وَيَوْمًا جَلَسَتْ إِلَيْهِ زَوْجَتُهُ تُؤْنِسُهُ ، وَتَقُولُ لَهُ :

« ما أَجْمَلَ هٰذِهِ الشِّباكَ ، وَما أَجْدَرَنِي أَنْ أَرْتَدِيَ واحِدَةً مِنْها ، إِذا اسْتَطَعْتَ أَنْ تُرَقِّقَ مِنْ نَسْجِها ؛ فَإِنَّ مَنْظَرَها جَمِيلٌ ! »

وَلَمْ يَكُنْ لِنِساءِ الْغابَةِ - حِينَئِذٍ - عَهْدٌ بِارْتِداءِ مِثْلِ هٰذِهِ الثِّيابِ الْجَمِيلَةِ ؛ فَقَدْ كانَتْ ثِيابُهُنَّ تُصْنَعُ - فِي تِلْكَ الْأَيّامِ - مِنَ الْأَلْيافِ الْخَشِنَةِ ، الَّتِي تَزْدادُ خُشُونَتُها كُلَّما بَلَّها الْماءُ .

فَرَحَّبَ « مَرْمَرٌ » بِما رَغِبَتْ فِيهِ زَوْجَتُهُ مِنَ الْحُصُولِ عَلَى ثَوْبٍ رَقِيقِ النَّسْجِ ، وَوَعَدَها بِتَلْبِيَةِ رَغْبَتِها فِي أَقْرَبِ وَقْتٍ مُسْتَطاعٍ .

ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى صَدِيقَتِهِ الْعَنْكَبَةِ ، فَرَحَّبَتْ بِهِ ، وَسَأَلَتْهُ :

« ماذا تَطْلُبُ مِنِّي ، لِأُحَقِّقَهُ لَكَ ؟ »

فَقالَ لَها وَهُوَ يَتَلَطَّفُ فِي قَوْلِهِ : « لَقَدْ جِئْتُكِ مُسْتَرْشِدًا ، لِأَسْأَلَكِ : كَيْفَ أَنْسُجُ ثَوْبًا عَلَى غِرارِ بَيْتِكِ الْعَجِيبِ ؟

لَقَدْ رَغِبَتْ زَوْجَتِي « زُمُرُّدَةُ » فِي أَنْ يَكُونَ لَها ثَوْبٌ مِنْ هٰذِهِ الشِّباكِ ، فَهَلْ تُرْشِدِينَنِي إِلَى ذٰلِكَ ؟ ! »

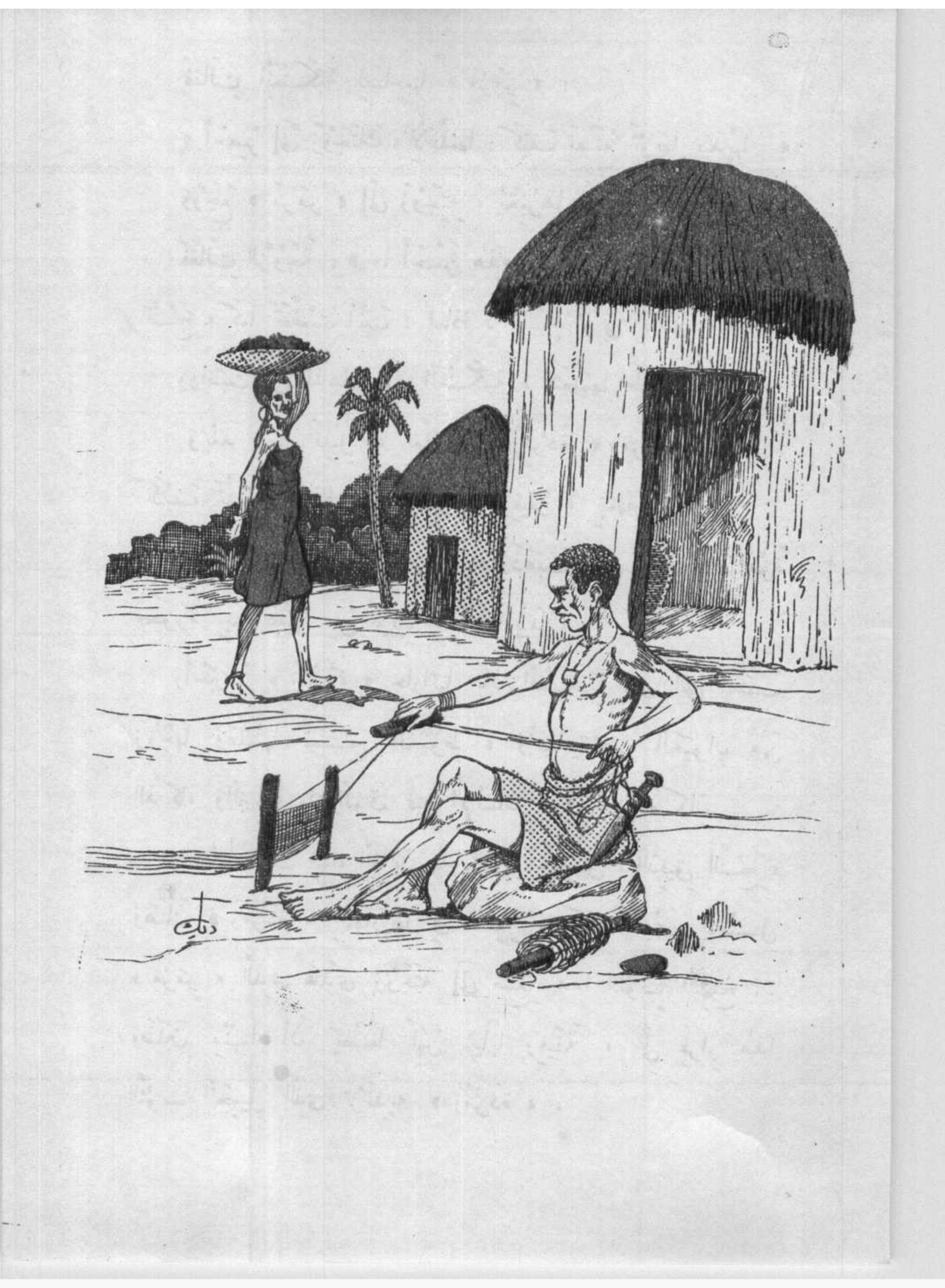
فَقالَتْ لَهُ الْعَنْكَبَةُ : « لا سَبِيلَ إِلَى ذٰلِكَ ، إِلَّا أَنْ تُقِيمَ عِصِيًّا - كَما أَفْعَلُ - ثُمَّ تَنْسُجَ عَلَى مِنْوالِي بِدِقَّةٍ وَعِنايَةٍ ، وَبِذٰلِكَ تُحَقِّقُ ما رَغِبَتْ فِيهِ زَوْجَتُكَ « زُمُرُّدَةُ » .

فَذَهَبَ « مَرْمَرٌ » ، وَتَخَيَّرَ جَمْهَرَةً مِنَ الْعِصِيِّ ، وَأَقامَها عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنْ بَيْتِ الْعَنْكَبَةِ ، ثُمَّ راحَ يَنْسُجُ ثَوْبًا عَلَى غِرارِ ما تَصْنَعُ .. فَلَمَّا أَتَمَّ نَسْجَ الثَّوْبِ الْجَدِيدِ ، أَهْداهُ إِلَى زَوْجَتِهِ .. فَأَظْهَرَتْ لَهُ سُرُورًا بِهِ .. وَلٰكِنَّها مَعَ ذٰلِكَ جَعَلَتْ تَتَفَحَّصُ الثَّوْبَ ، وَتَجُسُّهُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ ، ثُمَّ قالَتْ لِزَوْجِها :

« إِنَّ حِبالَهُ غَلِيظَةٌ خَشِنَةُ الْمَلْمَسِ ، وَخَيْرٌ لَنا أَنْ نَتَخَيَّرَ الْحَشائِشَ الرَّقِيقَةَ الْحَرِيرِيَّةَ ، لِنَسْجِ الثَّوْبِ ؛ فَإِنَّها - فِيما أَرَى - أَصْلَحُ مِنْ تِلْكَ الْحِبالِ الْغَلِيظَةِ ، وَأَلْيَنُ مَلْمَسًا . »

ثُمَّ ذَهَبَتْ « زُمُرُّدَةُ » مَعَ زَوْجِها « مَرْمَرٍ » ، وَأَرْشَدَتْهُ إِلَى حَيْثُ تَنْمُو النَّباتاتُ الْحَرِيرِيَّةُ الطَّوِيلَةُ ، فَجَمَعَ مِنْها شَيْئًا كَثِيرًا ، وَحَمَلَهُ إِلَى صَدِيقَتِهِ الْعَنْكَبَةِ ، وَقالَ لَها مُتَلَطِّفًا :

« لَقَدْ بَدَأْتُ بِنَسْجِ شِباكِي مِنْ غَلِيظِ الْحِبالِ . ثُمَّ ارْتَقَيْتُ - بَعْدَ ذٰلِكَ - فَصَنَعْتُ لِزَوْجِي ثَوْبًا مِنْ حِبالٍ أَرَقَّ مِنْها وَأَلْيَنَ . فَهَلْ أَسْتَطِيعُ بِإِرْشادِكِ أَنْ أَنْسُجَ مِنَ الْحَشائِشِ الطَّوِيلَةِ النَّاعِمَةِ ثَوْبًا لِزَوْجَتِي ، أَرَقَّ مِنَ الثَّوْبِ الْأَوَّلِ ، وَأَكْثَرَ لِينًا ؟ »



فقالَتِ العَنكَبَةُ لِصاحِبِها « مَزْمَرٍ » :

« أخْبِرْ إلَيَّ زَوْجَتَكَ ، لِأُعَلِّمَها : كَيْفَ تَصْنَعُ ثَوبَها بِيَدَيْها . »

وَرَجَعَ « مَزْمَرٌ » إلَى زَوْجَتِهِ ، يُخْبِرُها بِما قالَتْهُ العَنكَبَةُ ..

فَقالَتِ الزَّوْجَةُ : « ما أَحْسَنَ هٰذِهِ الفِكْرَةَ ! لِماذا لا أَتَعَلَّمُ النَّسْجَ ، كَما تَعَلَّمْتَ أَنْتَ ؟ لِماذا لا أَنْسُجُ ثَوْبِي بِيَدِي ؟ »

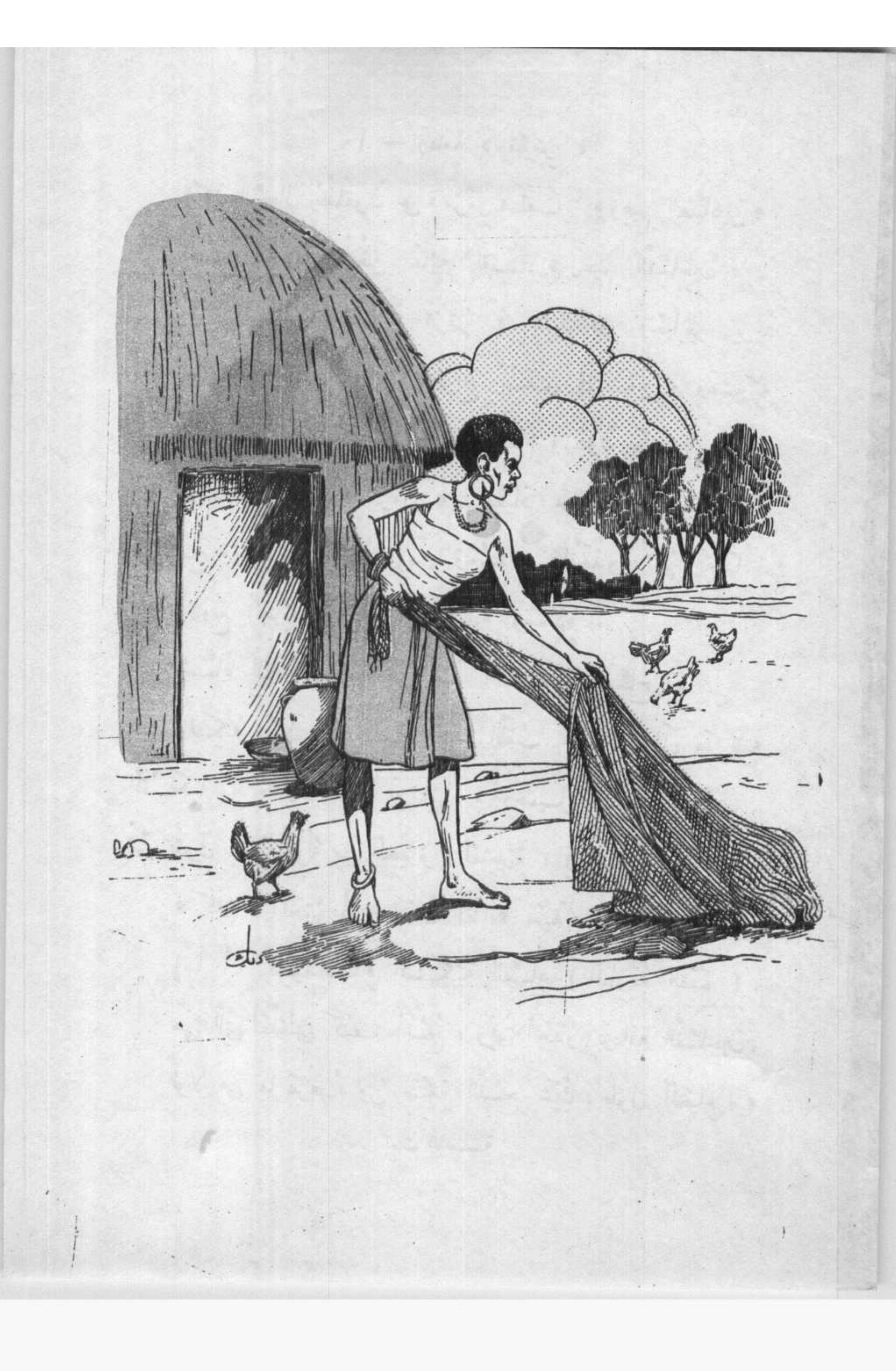
وواظَبَتْ عَلَى الذَّهابِ إلَى العَنكَبَةِ ، لِتُعَلِّمَها طَرِيقَةَ النَّسْجِ .

وَبَعْدَ زَمَنٍ قَلِيلٍ ، تَعَلَّمَتْ « زُمُرُّدَةُ » مِنَ العَنكَبَةِ : كَيْفَ تَنْسُجُ ثَوبَها مِنَ الخُيُوطِ الرَّفِيعَةِ ، بِمَهارَةٍ .

فَلَمَّا ارْتَدَتْهُ اشْتَدَّ فَرَحُها ، وَذَهَبَتْ إلَى جاراتِها مَزْهُوَّةً فَخُورَةً بِما عَلَيْها مِنْ ثَوْبٍ صَنَعَتْهُ بِيَدَيْها .

وَأَخْبَرَتْ « زُمُرُّدَةُ » جاراتِها بِأَنَّ العَنكَبَةَ هِيَ الَّتِي عَلَّمَتْ زَوْجَها وَعَلَّمَتْها نَسْجَ الخُيُوطِ ، وَأَنَّ لِبَعْضِ الحَيَوانِ مِنَ الذَّكاءِ وَالبَراعَةِ ما يَفُوقُ فِيهِ الإنْسانَ ، فِي كُلِّ مَكانٍ .

وَقَدْ أَعْجَبَتْ نِساءَ الغابَةِ بِهٰذا الثَّوْبِ الجَمِيلِ ، الدَّقِيقِ النَّسْجِ ، وَهَنَّأْنَ « زُمُرُّدَةَ » بِمَهارَتِها فِي صُنْعِهِ ، كَما أُعْجِبْنَ بِفَضْلِ « مَزْمَرٍ » الَّذِي هَدَى زَوْجَتَهُ إلَى صُنْعِ هٰذا الثَّوْبِ البَهِيجِ .. وَطَلَبْنَ مِنْهُما أَنْ يَصْنَعا لَهُنَّ ثِيابًا رَقِيقَةً ، عَلَى غِرارِ هٰذا الثَّوْبِ الجَمِيلِ الَّذِي تَرْتَدِيهِ « زُمُرُّدَةُ » .



وَكانَ الرِّجالُ يُطْلِقُونَ عَلَى « مَزْمَرٍ » لَقَبَ : « زَعِيمِ الصَّيَّادِينَ » .
فَأَصْبَحَ النِّساءُ يُطْلِقْنَ عَلَيْهِ لَقَبَ : « زَعِيمِ النَّسَّاجِينَ » .
وَكانَ ما يَصْطادُهُ « مَزْمَرٌ » بِشِباكِهِ وَحَبائِلِهِ يَزِيدُ عَلَى حاجَتِهِ وَحاجَةِ أُسْرَتِهِ ؛ فَراحَ يُهْدِي إِلَى جِيرانِهِ وَعَشِيرَتِهِ - مِنَ الصَّيْدِ - ما يَكْفِيهِمْ طُولَ الْعامِ ، دُونَ عَناءٍ .
وَهٰكَذا قَضَى « مَزْمَرٌ » الصَّيَّادُ حَياتَهُ طَيِّبَةً هَنِيئَةً ، وَأَصْبَحَ مَوْضِعَ إِجْلالِ قَوْمِهِ وَحُبِّهِمْ .. وَاتَّخَذُوهُ لَهُمْ زَعِيمًا .
وَعاشَ مَعَ أَبْنائِهِ وَحَفَدَتِهِ فِي هَناءَةٍ وَسَعادَةٍ ..
وَسَمَّاهُ النَّاسُ جَمِيعًا مِنْ بَعْدُ : « سَيِّدَ النَّسَّاجِ » .
وَلٰكِنَّهُ كانَ إِذا سَمِعَ هٰذا اللَّقَبَ ، أَشارَ إِلَى صَدِيقَتِهِ الْعَنْكَبَةِ ، مُعْتَرِفًا لَها بِبَراعَتِها ، وَجَمِيلِ صُنْعِها وَدِقَّتِها . .
ثُمَّ يَقُولُ لِمَنْ حَوْلَهُ مِنَ الْجِيرَةِ وَالْعَشِيرَةِ ، فِي صِدْقٍ وَإِخْلاصٍ :
« كَلَّا ، الْحَقُّ أَنِّي لَسْتُ أَنا « سَيِّدَ النَّسَّاجِ » !
إِنَّما أَنا تِلْمِيذُ هٰذِهِ الْعَنْكَبَةِ الصَّنَّاعِ (الْبارِعَةِ الصُّنْعِ) .
هِيَ الَّتِي عَلَّمَتْنِي كَيْفَ أَنْسُجُ ، وَهِيَ أَجْدَرُ بِزَعامَةِ النَّسَّاجِينَ .
لَوْلا هِيَ ما عَرَفْتُ مِنْ صَنْعَةِ النَّسْجِ شَيْئًا ، طُولَ الْحَياةِ ! »

تمت القصة

(يُجاب - مِمَّا فى هٰذِهِ الحَكاية - عن الأسئلة الآتية) :

١ - كيْفَ أتْقنَ « مرْمرٌ » فُنونَ الرِّياضة ؟

٢ - لِماذا كان يقْضِى « مَرْمَرٌ » أغْلبَ وقْتِه فى الغابة ؟

٣ - بِماذا عُرِف « مَرْمَرٌ » بيْن أهْلِ بلدِه وأقْرانِه ؟

٤ - ما هِىَ الصِّفات الَّتى تحَلَّت بها « زُمُرُّدَةُ » ؟

٥ - ماذا كانت حيلةُ « مرمرٍ » لِيَنْجَحَ فى صيْدِه ؟

٦ - لماذا كانت « زُمُرُّدةُ » تَحْتالُ لِحمايَةِ الحيوانِ مِنَ الاِصْطياد ؟

٧ - كيْفَ خابَ أمَلُ « مرمرٍ » فى إصابة البقرةِ الوحْشِيَّة ؟

٨ - ماذا كانت حالُ « زمُرُّدَةَ » ، لمَّا حدَث لزوْجها ما حدث ؟

٩ - ماذا جَرَى بيْن « مرمرٍ » وزوْجَتِه ، حين باحَتْ له بِسِرِّها ؟

١٠ - ماذا قالت العَنْكَبَةُ لـ « مرمرٍ » ، وهُوَ فى الغابَةِ يُراقِبُ الأشْجارَ ؟

١١ - ما هِىَ الوسيلةُ التى اسْتفادها « مرمرٌ » من مُحاكاةِ « العنكبة » ؟

١٢ - ماذا قالت « زُمردةُ » حين رأت الحَبائِلَ والشِّباكَ المُتْقَنة ؟

١٣ - مِمَّ كانت تُصْنَعُ الثِّيابُ التى يلبَسُها أهلُ الغابة ؟

١٤ - كيْف وصَفَتِ « الْعنكبةُ » لِـ « مرمرٍ » طريقةَ نسْجِ الثِّياب ؟

١٥ - ماذا كانت مُلاحظةُ « زُمُرُّدَةَ » لمَّا قدَّم لها زَوْجُها الثَّوْبَ ؟

١٦ - كيف تعلَّمتْ « زُمُرُّدَةُ » أن تنْسُجَ ثَوْبَها بِيديْها ؟

١٧ - لِماذا أطْلَقَ نِساءُ الغابةِ على « مرمرٍ » لقَبَ « زعيمِ النَّسَّاجين » ؟

١٨ - كيْفَ اعْتَرَفَ « مَرْمرٌ » بِالفَضْلِ لِمَنْ علَّمَه ؟

قصص رياض الأطفال



- أبو خربوش
- شمشون الجبار
- دندش العجيب
- دمنة المكار
- سفروت الحطاب
- التاجر مرمر
- أحلام بسبسة
- شنطح وصيدح
- الأميرة لولية
- الديك الظريف
- الأرانب والصياد
- الأمير مشمش
- عدو المعيز
- نارادا

إعداد
رشاد كيلانى



تُطلب من : مطبعة الكيلانى — مكتبة الكيلانى

٢٢ شارع غيط العدة / باب الخلق
المتفرع من شارع حسن الأكبر

٢٨ شارع البستان
باب اللوق